

الأخذ بالأسباب كقيمة إسلامية في القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية

أ. د. محمد علي عزب

أستاذ أصول التربية

كلية التربية - جامعة الزقازيق

الملخص:

تتناول الدراسة أهمية القيم في الحياة بصفة عامة، وفي الإسلام بصفة خاصة. وتعرض للمعنى اللغوي والفلسفي للقيمة، وتبين أن قيمة الأخذ بالأسباب مصدرها القرآن الكريم، وتعرض كذلك لما يثبت أن الإيمان بالقضاء والقدر لا يتنافى مع الأخذ بالأسباب في الإسلام. ثم تستعرض الدراسة للآيات القرآنية الدالة على الأخذ بالأسباب كقيمة إسلامية، ثم تعرض للتطبيق التربوي لذلك من خلال أهداف التعليم والسياسة التعليمية ودور المناهج والأنشطة والمعلم في إكساب تلك القيمة المهمة للطلاب.

الكلمات المفتاحية للبحث: الأخذ بالأسباب - قيمة إسلامية - القرآن الكريم - تطبيقات تربوية

مقدمة:

يعد موضوع القيم من الموضوعات البحثية القيمة الجديدة التي اثارت اهتمام الباحثين في مختلف حقول العلم وخاصة التربوية منها لما للأحداث الاجتماعية والثورات الإسلامية من آثار اجتماعية وفردية كبيرة في فكر الإنسان وسلوكه علي مرّ العصور^(١) ولما أحدثته الثورة العلمية والتكنولوجية من مشاكل أخلاقية هزت القيم وأحدثت خللاً بها في العصر الراهن مما أدى إلى المتاعب بضرورة العودة إليها - أي القيم الخلقية - والتمسك بها .

والقيم مجموعة من الاهتمامات التي تنمو لدى الفرد من خلال التربية ، وتتمثل نظرة الدين الإسلامي الحنيف إلى القيم بأنها الأساس الذي تقوم عليه المجتمعات الإنسانية من خلال مكونات عنة يحددها البعض بالكون العقلي والعمرية والنفسى والأدائى والوجداني^(٢) وهذه تمثل الجوانب المعنوية في الإنسان .

أ.د. محمد علي عزب ————— الأخذ بالأبعاد كقيمة إسلامية في القراءة الكريم وتطبيقاتها التربوية

والقيم في الإسلام مطلقة وغير نسبية لا يصيبها التغير وهي معايير ثابتة في الحكم علي الأشياء وتمثل الإطار الحياتي للإنسان والمجتمع ، وتمثل أساساً قوياً في بناء نسيج الشخصية الإنسانية وهي ريانية وثابتة وشاملة ومستمرة ومتصفة بالعمومية والتوازن والعالية ^(٣) .

وترتبط القيم بشخصية الفرد وتظهر في صور مختلفة من الاهتمامات والتفضيلات والأحكام لديه ، لذا فإن ترسيخ السلوك والتصورات الصحيحة عند بناء القيم وتشكيلها ينبغي ألا يتم عن طريق التلقين ، بل ببناء أساس عقيدتي متين تصبح به القيم معياراً للسلوك وتقتضي عنها صفة النسبية لتصبح أحكاماً محددة ذات مرجعية واضحة توجه سلوك الأفراد ، وتشكل كيانهم النفسي مما يجعل منهم جيلاً قادر على تحمل المسؤولية ومواجهة القضايا التي تعترضهم وإيجاد الحلول لها ^(٤) .

وتشكل القيم اللبنة الرئيسية التي يبني عليها المنهج التربوي فضلاً علي أنها ترتبط بالميدان التربوي ككل ، لذلك لزم تأكيد دور القيم في بناء الشخصية الفردية ودورها في الحياة .

والعلاقة وثيقة بين القيم والتربية ، فالقيم أهداف تسعى إلى تحقيقها والتربية أداة منفذة لها من خلال مناهج تربوية مخططة ومصممة بعناية تمكنها من تحقيق نتائجها التربوية السلوكية بفاعلية ^(٥) .

وينبغي أن تكون القيم الإسلامية محل الاهتمام لدي المسؤولين في التربية ومتخذي القرار ومخططي المناهج بما تتضمنه من عناصر كالأهداف والمحتوي والأنشطة واساليب التقويم ^(٦) .

والقيم تنمو لدي الإنسان من خلال الأسرة ومؤسسات التنشئة الأخرى وتحمل تلك المؤسسات مسؤولية كبيرة في ترسيخ النظام القيمي لدى التنشئة وينبغي التأكيد علي ضرورة وضوح الأحكام القيمية التي تسعى أي مؤسسة تعليمية لإكسابها لطلابها ، وأن تكون هذه الأحكام القيمية جزءاً من رؤية المدرسة ورسالتها المعلنة ^(٧) .

والقيم لها أهمية قصوى للفرد والمجتمع فهي تحدد شخصية الفرد وتوجه سلوكه وتساعد في بناء حياة الفرد وتشكيل شخصيته وتحكم تصرفاته ومعياري لتقييم سلوكه وتقنيه من الانحراف وتوجه خياراته في كافة مجالات الحياة ، وهي اساس اي نشاط انساني كما تلعب دوراً في حل اي صراعات وتحفظ للمجتمع تماسكه ، والقيم العلمية مثل التفكير والتخطيط والطموح والاجتهاد وغيرها تسهم في تنمية المجتمع ^(٨) .

ويؤدي الدين دوراً كبيراً في ترسيخ بعض القيم وتغيير بعضها وعلي سبيل المثال عندما انتشر الإسلام أحدث تغيرات اجتماعية هائلة في حياة الناس وأرسى قيم موجبة مثل التعاون والتأخي بين البشر والشورى واحترام العمل مهما كان نوعه كما نبذ قيم أخرى سلبية مثل واد البنات والثأر واحتقار العبيد والاستهانة بالمرأة ... إلخ ^(٩) .

والحقيقة أن هناك أزمة قيم في عالمنا العربي نذكر منها :

❖ ضعف القيم العلمية وإغلاق ابواب الاجتهاد والتخطيط والإبداع وضعف القدرة على التمحيص والتحليل .

❖ النزعة إلى قيم : الإتكالية وسيطرة فكرة الأنماطية .

❖ ازدياد الاعتمادية على الآخر حتى في المعارف والمهارات .

❖ ازدياد النزعة إلى الاستهلاك وتغليب المصلحة الشخصية على المصلحة العامة ^(١٠) .

ولعل هذا يدفع إلى البحث عن القيم الإسلامية وتأصيلها وتعليمها .

وهناك قيم عديدة مشتقة من القرآن الكريم تسهم في صلاح الحياة الإنسانية مثل التكافل الاجتماعي والتعاون على البر والتقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وطلب العلم ... إلخ ^(١١) .

وهذه القيم قد ينص عليها القرآن صراحة وقد نستنبطها بالمنطق والعقل ، ومن القيم التي لم ينص عليها القرآن صراحة الإبداع وقد سبق للباحث القيام بدراسة عنه كقيمة في القرآن ^(١٢) .

أ.د. محمد علي عزبي ————— الأخذ بالأسباب كقيمة إسلامية في القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية

ومن هذه القيم أيضاً قيمة الأخذ بالأسباب وهذا هو موضوع تلك الدراسة من خلال استعراض الآيات الدالة على الأخذ بالأسباب كقيمة إسلامية وتطبيقاتها التربوية كواحدة .

موضوع الدراسة :

ومسحوق لتناول الدراسة معالجة معنى الأخذ بالأسباب كواحدة من القيم الإسلامية في القرآن ولتطبيقها التربوية من خلال عرض القضايا التالية :

- ١- المعنى اللغوي والفلسفي للقيم .
- ٢- قيمة الأخذ بالأسباب مصدرها القرآن الكريم .
- ٣- هل الإيمان بالقدر يتنافى مع الأخذ بالأسباب كقيمة إسلامية .
- ٤- الآيات الدالة على الأخذ بالأسباب كقيمة تربوية في القرآن الكريم .
- ٥- التطبيق التربوي لتلك القيم الإسلامية .

منهج الدراسة :

تستخدم هذه الدراسة المنهج الأصولي الذي يعالج القضية أو الموضوع من خلال إرجاعها إلى الكتاب أو السنة النبوية .

حدود الدراسة :

سوف تقتصر الدراسة على القرآن الكريم فقط ولعلنا نوسع المجال هنا للباحثين لدراسة تلك القضية دراسة مستفيضة من خلال الأحاديث النبوية التي تشمل أفعال الرسول وأحواله وما أقره ووافق عليه صلى الله عليه وسلم مثل مسألة تأبير النخل التي أقرها بعد التأكد من أنها سبب دنيوي لصلاح الثمر .

إجراءات الدراسة :

بدأت الدراسة بتمهيد تناولت فيه المقدمة والأسئلة والمنهج المستخدم والحدود ثم تناول المعنى اللغوي والفلسفي والتربوي للقيمة وكيف أن الأخذ بالأسباب قيمة إسلامية مصدرها القرآن وأن هذا لا يتنافى مع الإيمان بالقضاء والقدر ثم تناول الآيات الدالة على كون الأخذ بالأسباب قيمة إسلامية من خلال

استعراض سور القرآن الكريم من بدايته حتى نهايته مع ترك بعض الآيات التي تكرر فيها ذكر نفس السبب مثل كون الماء سبب للنبات إلخ .

ثم نعرض الدراسة إلى اللطيفات التربوية الممكنة لكون الأخذ بالأسباب في الحياة قيمة إسلامية في القرآن الكريم .

١- المعنى اللغوي والفلسفي للقيمة :

لحديث عن الأخذ بالأسباب كواحدة من القيم نستعرض المعنى اللغوي والفلسفي والتربوي للقيم :

❖ المعنى اللغوي :

القيم مفرداتها قيمة وقوم الشيء تقيماً أي حدد السعر الذي يقابله وقوم الشيء تقويماً فهو قويوم أي مستقيم والاستقامة الاعتدال .

والقوام بالفتح العدل ، وقوام الرجل قامته وحسن طولته وقوام الأمر بالكسر نظامه وعماده ، وقوام الأمر ملاكته الذي يقوم به ، والرجل قوام أهل بيته أي يقيم شأنهم .

وإذا أردنا أن نقيس كل ذلك على الأخذ بالأسباب فنجد أنها مسألة تندرج تحت القيم وخاصة قويوم أي مستقيم ومعتدل حيث تستقيم به الأمور وتعتدل .

والقيم تعني الأشياء التي تقدر وتعني الاستقامة والاعتدال وتعني العدل وتعني الحسن وتعني عماد الأمر وقوامه ^(١٦) وهذه كلها تنطبق على الأخذ بالأسباب.

❖ المعنى الفلسفي للقيم :

القدر والمنزلة وما في الأشياء من خير وجمال وصواب . وهي مجموعة من الخصائص الثابتة للشيء الذي يقدر بها ويرغب فيه من أجلها لأنها تحقق فائدة ما مادية أو معنوية وهي تساعد على الاستقامة والصلاح لحياة الكائن البشري ^(١٧) وهذه المعاني تنطبق على الأخذ بأسباب الحياة لأنه يحقق فوائد معنوية ومادية ويساعد على الاستقامة والصلاح كما سيتضح من عرض الآيات القرآنية التي تدعو إلى ذلك .

٢- قيمة الأخذ بالأسباب مصدرها القرآن الكريم :

تعني القيم في القرآن مجموعة من الأخلاق العملية التي تصنع نسيج الشخصية وتجعلها متكاملة وقادرة على التفاعل مع المجتمع والتوافق مع أعضائه والعمل من أجل النفس والأسرة والعقيدة ^(١٥) .

وتعني : أحكام ومبادئ سليمة ومرشدة وهادئة في الحياة ^(١٦) وهذه المعاني أيضاً تنطبق على الأخذ بالأسباب في الحياة حيث أنه نوع من الأخلاق العملية وفي الأحكام والمبادئ السليمة والمرشدة والهادئة في الحياة .

وتجدر الإشارة أن القيم الوضعية مصدرها إما الطبيعة وإما المثال . فالطبيعة هي التي تحدد كون السلوك قيمة من عدمه عند كل من التجريبيين والوضعيين والحسينين ، وعندهم أن القيمة والقيمة أي يحددها الواقع ، وجزئية أي ترتبط بموقف حياتي محدد زمانياً ومكانياً وشمولياً ، متفاعلة مع الواقع ، والقيم تتغير وفقاً للواقع وغايتها تحقيق اللذة أو المنفعة الواقعية .

وبالنسبة للمثال كمصدر للقيم فيعني أن القيم سملوية عليا أو قبلية في العقل وهي شكلية تصلح لكل المواقف الحياتية عبر الأزمان والأمكنة والشخوص وهي ثابتة لا تتغير وهي مسبقاً موجودة وموضوعية أي موجودة في الموضوع دون دخل لنا ، وهي مستقلة عنا وغايتها معنوية أكثر منها مادية واقعية ^(١٧) .

والقيم في القرآن مصدرها القرآن نفسه من خلال تقديمه لفكرة الواجب أو ما ينبغي بحيث يتحقق التوازن الفردي والاجتماعي والحياتي بأسره بحيث يتحقق الاستقرار في الأرض والسماء ^(١٨) وهذه الدراسة سوف تثبت أن الأخذ بالأسباب قيمة مشتقة من القرآن الكريم غايتها تحقيق النفع للإنسان .

ويمكن القول أنه بالإطلاع على الدراسات التي أجريت عن القيم في القرآن الكريم نجد أنها قد اتبعت التصنيفات الوضعية للقيم ، وهذه التصنيفات جاءت طبقاً لجوانب الإنسان أحياناً ، والإنسان عبارة عن عقل ونفس ووجدان وجسم ، وعليه صنفت القيم إلى قيم عقلية ، وقيم نفسية ، وقيم وجدانية ، وقيم جسمية .

وأحياناً أخرى تجيء تصنيفات القيم وفقاً للمجالات الحياتية مثل القيم الاجتماعية، والقيم السياسية، والقيم الاقتصادية، والقيم الخلقية، والقيم التربوية^(١١).

وبالنسبة للأخذ بالأسباب كقيمة إسلامية فهو عبارة عن سلوك يتخلل كافة النشاط الحياتية أيضاً.

ويمكن القول أن القيم في القرآن عبارة عن سلوك وعمل وواقع حياة لتكوين الإنسان الصالح والمجتمع السليم، والإنسان يتزود من هذه القيم بالطاقات التي تمكنه من أداء رسالته في المجتمع بحيث يتحقق الانسجام والتوازن الحياتي الذي هو غاية من غايات القيم في القرآن^(١٢).

والقيم في القرآن نشأت من مبادئه الأخلاقية الطاهرة إليها صراحة أو اطنبنة فيه :

مثال العمل :

﴿ وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ التوبة ﴿١٠٥﴾ ومثال آخر للعلم والحث عليه : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ العلق ﴿١﴾ .

وبالطبع فإن هذه المبادئ الأخلاقية التي تنعكس أو تترجم إلى قيم إسلامية تشمل كافة جوانب حياة الإنسان ونشاطه الحياتية في تفاعلها مع بعضها البعض ومع الكون ومع الله عز وجل لتحقيق غاية الحياة وتكوين الإنسان الصالح، بالإضافة إلى كون الإنسان يستمد طاقته من خلال الاتصاف بتلك القيم^(١٣).

والأخذ بالأسباب من القيم التي تضمنها القرآن الكريم ولها تطبيقات تربوية عنه سنحاول إبرازها في هذه الدراسة.

٢- هل الإيمان بالقدر يتنافى مع الأخذ بالأسباب كقيمة إسلامية :

يقول الإمام النووي في شرح صحيح مسلم عن القدر "أعلم أن مذهب أهل الحق إثبات القدر ومعناه أن الله تبارك وتعالى قدر الأشياء في القدر وعلم سبحانه وتعالى أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى وعلي صفات مخصوصة فهي تقع علي حسب ما قدرها سبحانه وتعالى"^(١٤).

أد هذا حل عربي ————— الأخذ بالأسباب كقيمة إلهامية في الفراء الكريم وتطبيقاتها التربوية

ويقول الخطابي : " قد يحسب كثير من الناس أن معني القضاء والقدر إجبار الله سبحانه وتعالى العبد وقهره علي ما قدره وقضاه وليس الأمر كما يتوهمونه وإنما معناه الأخبار عن تقدم علم الله سبحانه وتعالى بما يكون من استتباب العبد " (٣) .

وبهاتين المقولتين للنووي والخطابي كفاية لإثبات أن الإيمان بالقدر لا يتنافى مع الأخذ بالأسباب ، فالإنسان يختار بحريته وإرادته ويأخذ بالأسباب وقد لا يأخذ وكل هذا مقدر ليس بإكراه الإنسان وكونه سيأخذ بالأسباب أم لا ، وإنما بعلم الله المسبق به ، وهذا لا يتنافى بالقطع مع دعوة القرآن إلي الأخذ بالأسباب ودعوة القرآن إلي الرضا بقضاء الله وقدره حين يأخذ الإنسان بالأسباب ويفشل أو ينجح .

٤- الآيات الدالة علي الأخذ بالأسباب كقيمة تربوية في القرآن الكريم :

١- ﴿ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ﴾ البقرة ﴿٢٢﴾
الله عز وجل جعل الماء سبباً لإخراج الثبات الثمر ، والثمرات تعني الشجرات ومماثلة جعل الماء سبباً من اسباب الحياة من الأمور التي ارتبطت بنشأة الخلق " وجعلنا من الماء كل شيء حي " .

٢- ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَا عَشَرَ نَبِئًا ﴾ البقرة ﴿٦٠﴾

الله عز وجل جعل ضرب الحجر بالعصا سبباً في تفجر الماء .

٣- ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِعَصَاكُمُ كَذَلِكَ يَخْشَى اللَّهَ أَلَمْ يَكُنِ اللَّهُ أَعْلَمَ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ البقرة ﴿٧٣﴾
جعل الله عز وجل ضرب الميت ببعض أعضائه سبباً في إحيائه ، نعم إحياء الميت مسألة لا تتم إلا بأمر إلهي ولكنه أراد أن يعلمنا أن نأخذ بالأسباب في أفعالنا .

وتفسير بعضها هنا علي عدة لوجه منها : انه اللسان لأنه آلة الكلام ومنها انه " عجب الذنب " إذ فيه يركب خلق الإنسان ومنها انه الفخذ ، ومنها انه عظم من عظامها والمقطوع به انه عضو من أعضائها (٤) .

٤- ﴿لَإِنْ قَاتَلْتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ البقرة ﴿١٩١﴾

الله عز وجل جعل قتال المشركين للمسلمين سبباً لقتلهم وتلاحق هنا التكافؤ في السبب والنتيجة فقتل المشركين فعل تكافؤ مع قتالهم للمسلمين .

﴿فَمَنْ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ البقرة ﴿١٩٤﴾

الله عز وجل جعل الاعتداء من الغير سبباً للاعتداء عليهم علي أن يكون هنا تكافؤ في الاعتداء من حيث آلة الاعتداء أو الضرر الناجم عنه وهذا يشمل المعتدين من الكافرين وأهل الكتاب بل ومن المسلمين أنفسهم إذا اعتدوا علي غيرهم فينبغي الاعتداء عليهم اعتداء يكافئ اعتداءهم وإلا لما استقامت الحياة .

٥- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا كُنْتُمْ بِشَيْءٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاصْبِرُوا﴾ البقرة ﴿٢٨٢﴾

الله عز وجل جعل الدين سبباً في الكتابة وهذه مسألة تستقيم بها الحياة ، لأن كتابة الدين تحفظ الدائن حقه وتجعله مطمئناً وتحول دون احتيال المدين ، وبالتالي لا يمتنع الدائن عن إقراض المدين ولا يمتنع المدين عن سداد دينه وبالتالي تستقيم الحياة ، ثم قرن كتابة الدين بإشهاد رجلين أو رجل وامرأتان ويؤكد وجود الشهود علي الدين لا جدوى من كتابته .

٦- ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ

فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ رَبِّكُمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ آخَرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِزْبَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لَقِلُّوا عَنْ أَسْلِحَتِهِمْ وَأَمْنِهِمْ﴾

النساء ﴿١٠٢﴾

فالله عز وجل يأمر المسلمين أن يأخذوا بالأسباب أثناء الحرب ولا يففلوا عن أسلحتهم وامتنعتهم لأن الدين كفروا يكون ذلك ، فود الدين كفروا في أن يففل المسلمون عن أسلحتهم وامتنعتهم كان سبباً في أن يأخذ المسلمون حنرهم حتى في أثناء الصلاة .

ويقول الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية ، روى الدارقطني عن أبي عياش الزرقى قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان ، فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد وهم بيننا وبين القبلة فصلى بنا النبي صلى الله عليه وسلم

أ.د. محمد علي عزب ————— الأخذ بالأسباب كقيمة إسلامية في القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية

الظهر ، فقالوا : قد كانوا علي حال لو اصبنا غرثهم ؛ قال : ثم قالوا نأتي الآن عليهم هي احب اليهم من ابنائهم وانفسهم ؛ قال فنزل جبريل عليه السلام بهذه الآية بين الظهر والعصر ^(٣٠) .

فالكفار هنا أرادوا الغدر بالمسلمين اثناء الصلاة فكان هذا سبباً أن امرهم الله بالأخذ بالأسباب والاحتياطات من العدو اثناء الصلاة بأن امر الله عز وجل الرسول بتقسيم المسلمين إلي طائفتين طائفة تصلي وطائفة تحرس ثم يحدث التبديل بعد ذلك أي بعد انتهاء الطائفة الأولى من الصلاة تتولي هي الحراسة وتصلي الطائفة التي كانت تتولي الحراسة .

٧- ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ المائدة ﴿٣٣﴾
الله عز وجل جعل الإفساد في الأرض سبباً للقتل أو الصلب أو قطع الأيدي والأرجل أو النفي في الأرض ، وبذلك تستقيم الحياة وينون ذلك سوف ينتشر الهرج والمرج وتسود الفوضى وتضطرب الحياة الاجتماعية ، واستئصال الذين يسعون في الأرض فساداً أشبه باستئصال الورم الخبيث من الجسد أو استئصال الثمر العاطب من القفص أو الشوب من الماء واللبن .

والذي عليه الجمهور أن هذه الآية نزلت في العرنيين روي أبو داود عن انس بن مالك : ان قوماً من عرينه قدموا علي رسول الله فاجتووا المدينة (اصابهم المرض) وهو داء الجوف إذا تطاول وذلك إذا لم يوافقهم هواؤها واستوخموها ؛ فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بلقاح وامرهم ان يشربوا من ابواها والبانها فانطلقوا ، فلما صحوا قتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم واستاقوا النعم وبلغ النبي خبرهم اول النهار فارسل في آثارهم فأمر بهم فقطعت ايدهم وارجلهم وسمر اعينهم (أي فقاها) والقوا في الحرة (أرض خارج المدينة بها حجارة سوداء) يستسقون فلا يسقون فنزلت هذه الآية ^(٣١) .

فهؤلاء القوم سرقوا وقتلوا وكفروا بعد إيمانهم وحاربوا الله ورسوله والمحارب هو من أخاف السبيل وأخذ المال وقتل ، فقطع الرجل لمن أخاف السبيل وقطع اليد لمن أخذ المال وقتل لمن قتل (٣٧) .

وتجدر الإشارة أن هذه الآية تضمنت القصاص في ثلاثة أمور:

الأمر الأول : من أخاف السبيل (قطع الطريق) فهذا الفعل سبب لقطع الرجل .

الأمر الثاني : سلب المال (السرقه) وهذا الفعل سبب لقطع اليد .

الأمر الثالث : القتل وهذا الفعل سبب لقتل من قتل وهذه كلها تبين أن الحدود

أسباب لاستقامة الحياة وأنها تزيد وتنقص من حيث حجم الجرم

أو الفحش الذي يرتكبه الإنسان .

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا لَكَالًا مِنَ اللَّهِ ﴾ المائدة ﴿٣٨﴾

الله عز وجل جعل السرقة سبب لقطع الأيدي للتمكين بالسارق وفضيخته،

وبذلك استقامة لأسباب الحياة ، لأنه لا يمكن بحال من الأحوال أن يستقيم

مجتمع به حرامية يسرقون أو يتهبون المال العام أو الخاص .

وتجدر الإشارة أنني ذكرت تلك الآية رغم أنه كان من الممكن الاكتفاء

بما ورد في آية الحرابة والتي تضمنت قطع يد السارق ، وذلك لأنني أردت أن أوضح

عنة أمور قد تستشكل علي البعض .

الأمر الأول :

أن قطع يد السارق ليست قاصرة علي فئة أو طبقة دون غيرها من الناس بل

العكس فالمتبع لعهد الرسول وأبي بكر وعمر نجد أنهم قطعوا يد من هم ينتسبون

إلي طبقات اجتماعية ذات شرف ومكافة .

الأمر الثاني :

أن القطع لا يكون إلا لمن سرق ربع دينار فصاعداً فالذي سرق اقل من ربع

دينار لا تقطع يده باعتباره سرق لكي يقتات أما الذي سرق ربع دينار فصاعداً فهو

سرق للنهب والسلب (٣٨) .

أ.د. محمد علي عزي ————— الأخذ بالأسباب كقيمة إسلامية في القرآن الكريم وتطبيقاتها الضرورية

ولعل في هذا ما يغني للمرء علي النين يشككون في تطبيق حد السرقة ويقولون لو تم ذلك لقطعت أيدي المجتمع بأسره ، نقول لهم هذا قياس فاسد .

وتجدر الإشارة أيضاً أن قطع يد السارق حكم أقره الإسلام وقد كان موجوداً من قبل ، يقول الإمام القرطبي " وقد كان موجوداً قبل الإسلام وأول من حكم بقطع يد السارق في الجاهلية الوليد بن المغيرة ، فأمر الله بقطع يد السارق في الإسلام فكان أول سارق قطع يده رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإسلام من الرجال الخيار بن عدي بن نوفل بن عبد مناف ومن النساء مرة بنت سفيان بن عبد الأسد من بني مخزوم (٣٧) .

ويقول الإمام القرطبي مؤكداً أن القطع ليس علي العموم كما ذكرنا وظاهر الآية العموم في كل سارق وليس كذلك لقوله عليه السلام " لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعداً " فبين أنه إنما أراد بقوله : " والسارق والسارقة " بعض السراق دون بعض ، فلا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار أو فيما قيمة ربع دينار وهنا قول عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي رضي الله عنهم وبه قال عمر بن عبد العزيز والليث والشافعي وأبو ثور (٣٨) .

٨- ﴿ وَأَعْلُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُوهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ الأنفال ﴿٦٠﴾

الله عز وجل جعل من إعداد القوة (والتي كان يعبر عنها آنذاك برياط الخيل) سبباً في ترهيب - وليس إرهاب - عدو الله وعدو المسلمين وترهيب الآخرين لا يعلمهم المسلمون ولكن الله يعلمهم ، وهنا سبب هام من أسباب بقاء المسلمين وعدم ضعفهم واستهانة عدوهم بهم ، نحن نملك من أسباب المال والعتاد ولكننا لا نعد العدة لهؤلاء الذين جعلوا النيل منا وانتقامنا وتحقيرنا هدفاً لهم بل جعلوا من أرضنا وعروبتنا وإسلامنا مطعماً لهم ، وبدلاً من أن نعد العدة لترهيبهم نستبق إلي أرضائهم ونيل الرضا منهم فهنا عليهم وهانت علينا أنفسنا .

ولكي تستقيم حياة المجتمع المسلم لا بد من الإعداد القوي بالسلاح والجيوش لترهيب العدو وإجباره علي احترامنا وعدم الطمع في النيل منا .

والعدة : السلاح والقص (جمع قوس) وكل ما يرمي به وفي صحيح مسلم عن عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو علي المنبر يقول : " وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة إلا إن القوة الرمي إلا إن القوة الرمي (٣١) .

وما يرمي به في الوقت الراهن يشمل الصواريخ والطائرات والمنطعية والدبابات والرشاش والبنديقية إلخ .

ورباط الخيل تعني في العصر الحديث المدرعات والعربات الثقيلة وأدوات النقل وهذان الأمران هما عماد أي حرب في الوقت الراهن .

٩- ﴿ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أَغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ يوسف ﴿٦٧﴾

في هذه الآية نجد سيدنا يعقوب عليه السلام يأمر أولاده بالآ يدخلوا من باب واحد لأنه كان يخشى عليهم من الحسد رغم شدة إيمانه بالله وعلمه بأنه لا يغني عنهم من الله شيء ، ولكنه يأخذ بالأسباب .

يقول الإمام القرطبي : لما عزموا علي الخروج خشي عليهم العين فأمرهم ألا يدخلوا مصر من باب واحد وكانت مصر لها أربعة أبواب ، وإنما خاف عليهم العين لكونهم أحد عشر رجلاً لرجل واحد وكانوا أهل كمال وجمال وبسطة وهذا دليل علي التحرز من العين والعين حق (٣٢) .

١٠- ﴿ انْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا ﴾ يوسف ﴿٩٣﴾
الله عز وجل جعل وضع قميص يوسف علي وجه أبيه سبباً لرد بصره إليه وكان من الممكن أن يحدث ذلك بدون وضع قميص يوسف علي وجه أبيه ، ولكن الله أراد أن يعلمنا الأخذ بالأسباب ، فقميص يوسف فيه ريح يوسف " إني لأجد ريح يوسف " وريح يوسف فيه استقرار وأمان نفس وشفاء لأبيه ورد نظره أو بصره إليه .

وتجدر الإشارة أيضاً أن قميص يوسف هو قميص جد إبراهيم الذي نزل به جبريل عليه السلام والبسمه إياه لتكون النار برداً وسلاماً عليه حينما ألقاه قومه فيها حينما حطم الأصنام .

١١- ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١٥) وِعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (١٦) النحل (١٥-١٦)

فأله عز وجل جعل الجبال سبباً لعدم ميذ الأرض او اضطرابها او تمايلها ، ويقول وهب بن منبه : خلق الله الأرض فجعلت تميد وتمور ، فقالت الملائكة إن هذه غير مقرّة أحدا علي ظهرها ، فاصبحت وقد أرسيت ولم تدر الملائكة ممّ خلقت الجبال ويقول علي بن أبي طالب لما خلق الله الأرض فقمت ومالت وقالت : أي رب اتجعل علي من يعمل بالمعاصي والخطايا ويلقي علي الجيف والنتن ، فألقي الله فيها من الجبال ما ترون وما لا ترون (٣) .

ويقول الأمام القرطبي وفي هذه الآية أدل دليل علي استعمال الأسباب وكان قادراً علي سكوتها دون الجبال (٣) .

وفي هذه الآيات ايضاً جعل الله العلامات دليلاً ليهتدي به الناس بالنهار والنجوم ليهتدي بها الناس ليلاً كما جعل الأنهار والسبل - أي الطرق - مسالك ليهتدي بها الناس إلي حيث يقصدون من البلاد فلا يضلوا ولا يتحيروا وهذه كلها اسباب او دلالة علي ضرورة الأخذ بالأسباب في الحياة .

١٢- ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَامْنَلِي سَبُلَ رَبِّكَ ذَلِكُمْ خُرُجٌ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلَفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ النحل (٦٩)

الله عز وجل جعل أكل النحل من الثمرات في كل السبل سبباً لكونها تخرج عسلاً مختلف الألوان فيه شفاء لعظم الأمراض بسبب اختلاف الثمر والسبل التي يسلكها النحل ليأكل من هذا الثمر .

١٣- ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بَطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ النحل (٧٨)

فأله عز وجل جعل السمع والأبصار والأفئدة أسباب للعلم والإدراك بعدما أخرجنا من بطون أمهاتنا لا نعلم شيئاً ، يقول الأمام القرطبي : فالسمع لسماع الأمر والنهي والأبصار لتبصر بها آثار صنعه والأفئدة لتصل بها إلي معرفته ، وفي

السمع إثباتات النطق لأن من لم يسمع لم يتكلم وإذا وجدت حاسة السمع وجد النطق (٢٠).

١٤- ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ ثَوْبِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ ثَوْبًا لَّتَسْتَحِفُّوهَا يَوْمَ تَخْرُجُكُم وَتَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئَاةٌ إِلَىٰ حِمِيٍّ﴾
النحل ﴿٨٠﴾

ففي هذه الآية ضرب آخر من الأخذ بأسباب الحياة فالبيوت سكن للإنسان خاصة وأنه بحاجة إلى السكينة والهدوء وفي حالة السفر يمكنه أن يتخذ من جلود الأنعام بيتاً لتحقيق تلك السكينة التي لا يمكنه الحياة بدونها وجعل أيضاً الأصواف والأوبار والأشعار اثناً ومِئاةً وللإنسان خاصة وأن الإنسان بحاجة إلى الأثاث والمتاع في الحياة ويدون الأثاث والمتاع لا تستقيم حياته .

ويقول الأمام القرطبي يسكن يعني هدوء الجوارح وهذا يتحقق من خلال ما يستر الإنسان من جهاته الأربع وله سقف وفلك (أرض) وهذا هو البيت والله عز وجل خلق الإنسان متحركاً ولكنه بحاجة إلى السكون وهدوء الجوارح لكي تستقيم حياته ولذلك جعل البيت سبب لتحقيق تلك السكينة ثم هو بحاجة إلى الأثاث والمتاع أيضاً بمعنى ما يفرشه الإنسان وما يلبسه وهذه أمور تتعلق بالبيت والسكينة (٢١).

١٥- ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُم سَرَائِلَ لِّقِيَّتِكُمْ الْحَرَّ وَسَرَائِلَ لِّقِيَّتِكُمْ بِأَسْكُنُمْ﴾
النحل ﴿٨١﴾

في هذه الآية أيضاً ضرب من الأخذ بالأسباب التي تستقيم بها حياة الإنسان فالبيوت والشجر سبب للظل والجبال سبب للأكنان جمع كن وهو الواقي من المطر والرياح وغير ذلك ، وهي هنا الفيران في الجبال ، جعلها الله عِدةً للخلق يأوون إليها ويتحصنون بها ويعتزلون عن الخلقة فيها ، والسرايل (هي القمص أحدها سرايل وهي تقي الإنسان) من الحر وتعني الدرع التي تقي الإنسان أثناء الحرب وهذه كلها ضروب من الأسباب لن تستقيم الحياة إلا بها .

١٦- ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عِنْدَ السَّيِّئِ وَالْحَسَابِ﴾ (الإسراء: ١٢)

الله عز وجل جعل الليل والنهار ليتبغى الإنسان الفضل من ربه في تصريف

منه أشبه بالنهار الذي يبصر فيه وليعلم الإنسان عدد السنين والحساب وهذا معنى من أسباب استقامة حياة الإنسان ، فالإنسان لا يمكن الحياة بدون العمل الذي يبتغي فيه الفضل من الله وبدون علم عدد السنين والحساب .

ويري ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم " فلو ترك الله الشمس والقمر كما خلقهما لم يعرف الليل من النهار ولا كان الأجير يدري إلى متى يعمل ولا الصائم إلى متى يصوم ولا المرأة كيف تعتد ولا تدري اوقات الصلوات والحج ولا تحل الديون ولا حين يبدرون ويزرعون ولا متى يسكنون للراحة لأبدانهم ولذلك جعل الله الليل والنهار (٣٧) .

١٧- وفي قضية الخضر مع سيدنا موسى في مسألة خرق السفينة وقتل الغلام وبناء الجدار مجموعة من سبل الأخذ بالأسباب كما بينت الآيات .

يقول الله عز وجل :

قَالَ فَإِنَّ ابْنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أَخْبِرَكَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَأُلْطَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتُهَا لِتُطْرَقَ أَهْلُهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَأُلْطَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتُمْ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا لَّكْرًا ﴿٧٤﴾ ﴿٥﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَ هَذَا فَلَا تُصَاحِبْنِي لَقَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَأُلْطَقَا حَتَّى إِذَا أَتَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأُتْبِكُ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاءً وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ

رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ الكهف ﴿٧٠ - ٨٢﴾

فهذه الآيات تبين ان الخضر عليه السلام اخذ بالأسباب - رغم غياب العلم بها بالنسبة لسيدنا موسى - حين خرق السفينة ملكك المساكين الذين كانوا يعملون في البحر لأنه كان هناك ملك ظالم في الجانب الآخر من النهر ياخذ السفن التي تصل إلى هناك غصباً ، وكذلك أيضاً حين قتل الغلام الذي كان سيصبح كافراً ويرهق والديه طفيلاناً وظلماً وحين بني الجدار في القرية التي ايت اطعامهما للحفاظ علي كثر دفين لغلامين يتيمين في المدينة .

١٨ - ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ الأحزاب ﴿٥٩﴾

في هذه الآية الكريمة نجد الله عز وجل يأمر النبي بتبليغ النساء من المؤمنات بأن يدنين عليهن من جلابيبهن وجعل ذلك سبباً لعدم معرفة الغير لهن وايدائهن ، وهذا ضرب من الأخذ بالأسباب فيما يتعلق بلباس المرأة وضرورة سترها لنفسها حتى لا تتعرض للأذى من الغير من ذوى النفوس الضعيفة أو القلوب المريضة .

يقول الإمام القرطبي :

لما كانت عادة العربيات التبذل وكنّ يكشفن وجوههن كما يفعل الإماء ، وكان ذلك داعية إلي نظر الرجال إليهن وتشعب الفكرة فيهن امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم ان يأمرهن بإرخاء الجلابيب عليهن إذا اردن الخروج إلي حوائجهن^(٣٨) .

١٩ - ﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَقْتُلُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ﴿١٣﴾ الجاثية ﴿١٢ - ١٣﴾

الله عز وجل جعل البحر سبباً لجريان الفلك بما تحمل من اشياء ثقيلة يصعب حملها أو نقلها حتى يبتغي الإنسان من فضل الله بما يتيسر له من سبل

أ.د. محمد علي عزدي ————— الأخذ بالأسباب كقيمة إسلامية في القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية

الحياة كما جعل كل شيء مسخر في السماء والأرض للإنسان حتى تستقيم حياة الإنسان وتزدهر ويتحقق الرقي والبقاء والنهضة .

٢٠- ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ الحديد (٢٥)

الله عز وجل أرسل الرسل بالمعجزات وبالكُتب والحكم بين الناس ليستقيم العدل وتستقيم حياة الناس به . فالعدل الذي جاء به الرسول هو سبب الحياة وهذه مسألة خطيرة جداً فبدون العدل لن تستقيم الحياة ، وهذا يقطع الطريق أمام دعاة الديمقراطية والمُتَحامِلين علي الإسلام ظلماً وجوراً ويؤكد لهم حقيقة كون الإسلام ادرك أهمية العدل بين الناس كأساس لاستقامة الحياة البشرية ، وبدونه لن تستقيم حياة أي مجتمع طويلاً ، ولن يتقدم أي مجتمع وينهض ويسود بدون العدل . وبالنسبة للشق الثاني من الآية نجد الله عز وجل يجعل خلق الحديد سبباً لحدوث البأس والمنافع لحياة الإنسان وكلاهما أمران ضروريان لاستقامة الحياة البشرية ، والبأس الشديد منه السلاح والمنافع منها السكنى والفأس والإبرة ونحوه إلخ .

٥- التطبيقات التربوية للأخذ بالأسباب كقيمة في القرآن الكريم :

تبدأ هذه التطبيقات التربوية مع صياغة فلسفة التعليم وأهدافه منذ بداية السلم التعليمي . ويمكن أن تتضمن فلسفة وأهداف التعليم إكساب أولادنا الأخذ بالأسباب كواحدة من القيم الإسلامية المهمة التي نحتاج إليها في حياتنا .

فالتغريب يأخذ بالأسباب في كل شيء وقد يكون هناك فشل في بعض الأحيان ولكن هذا لا يثنئهم عن الأخذ بالأسباب مهما كلفهم هذا الفشل ، يحدث هذا في تجارب الفضاء وفي التجارب العلمية التي تتم بشكل دائم .

يمكن التطبيق التربوي للأخذ بالأسباب علي مستوي المناهج والمقررات الدراسية من خلال بعض الآيات القرآنية التي تبين كيف أن الماء سبب للحياة

وللإنبات وكيف ان الحديد له منافع شتى نعرفها وقد لا نقرأها منها ونبحث عنها للاستفادة منها الخ .

يمكن ذلك أيضاً من خلال بعض الأنشطة المدرسية التي يمكن من خلالها بناء نماذج للبيوت ونحت اكنان من الصخور ورسم نماذج للأشجار التي نستظل بها كما بينت الآيات القرآنية .

يمكن ذلك أيضاً من خلال المكتبة وأن نطلب من التلاميذ قراءة بعض الكتب عن الأخذ بالأسباب في الحياة وأن هذا لا يتعارض مع الإيمان بالقدر، وأن الإيمان بالقدر لا يعني إلغاء أو نفي الأخذ بالأسباب وأن يطلب من التلاميذ كتابة موضوعات أو مقالات تبرز أهمية الأخذ بالأسباب لاستقامة الحياة .

يمكن أن يقوم المعلم بدور هام في إكساب الطلاب قيمة الأخذ بالأسباب باعتباره مربياً ومعلماً وهذه المسألة لا تقتصر على معلم بعينه دون آخر، ولكن يمكن لسائر المعلمين القيام بذلك من خلال نصائحهم وتوجيهاتهم التي يقدمونها للطلاب ومن خلال معظم المواد التي يقومون بتدريسها وعلى الأخص مادة العلوم والدراسات الاجتماعية واللغة العربية والدين الخ .

يمكن أن تقوم الإدارة المدرسية بدور هام في هذه المسألة خاصة حين تتبنى مسألة إكساب الطلاب كافة القيم العلمية بصفة عامة وقيمة الأخذ بالأسباب بصفة خاصة من منطلق أنها لا تقل أهمية عن سائر القيم العلمية الأخرى مثل التفكير العلمي والإبداع والابتكار الخ .

يمكن ذلك أيضاً من خلال الإذاعة المدرسية خاصة وإنها تصل إلي شتى الطلاب في طابور الصباح وغيره وأن يتم تخصيص موضوعات تتعلق بمسألة الأخذ بالأسباب كقيمته الإسلامية ينبغي العمل بها نظراً لأهميتها .

ومن خلال علاقة المدرسة بالمجتمع المحلي يمكن عمل ندوات أو حفلات أو مؤتمرات لمناقشة مسألة الأخذ بالأسباب كقيمته الإسلامية وعدم ترك الأمور للصدفة والتخلص من السلبية المبررة خطأ بأن ندع الأمور تسير ولا دخل لنا بها لأننا مسيرين ولنا مخيرين وأن نبرز أن المسائل تسير بإرادة الله لسبق علم الله بها كما أوضحت كتب التفسير الصحيحة .

الهوامش:

- ١- كوثر السيد : " اثر المنهج الخفي للتربية الرياضية المدرسية علي السلوك الجيد لتلميذات المرحلة الإعدادية " ، مجلة كلية التربية ، جامعة الزقازيق ، العدد ٤٤ ، ٢٠٠٣م ، ص ١ .
- ٢- محمد الخوالدة ، أحمد الشوحة - : " القيم التربوية المتضمنة في كتب التربية الإسلامية المقررة للصفوف الأربعة العليا من المرحلة الأساسية " ، في الأردن - مجلة اتحاد الجامعات العربية للتربية وعلم النفس ، العدد ٣ ص ٨٥ .
- ٣- ماجد الجلال : " تعليم القيم وتعليمها تصور نظري وتطبيقي لطرائق واستراتيجيات تدرب القيم " ، دار المسيرة ، عمان ، ٢٠٠٥م ، ص ٩٤ .
- ٤- محمد الخوالدة ، أحمد الشوحة : مرجع سابق ، ص ٩ .
- ٥- عبد المجيد نشواتي : " علم النفس التربوي ، دار الفرقان " ، عمان ، ط رابعة ، ٢٠٠٣م ، ص ٣٦٥ .
- ٦- رمزي هارون ، ناصر الخوالدة : " تحليل القيم الإسلامية المتضمنة في أناشيد رياض الأطفال " في الأردن ، المجلة الأردنية في العلوم التربوية ، عدد ١ ، مجلد ٤ ، ٢٠٠٥م ، ص ٢٦٥ .
- ٧- ريتشارد دوفون ، روبرت ايكس : " المجتمعات المهنية التعليمية أثناء العمل " ، ترجمة مدارس الظهران الأهلية ، دار الكتاب التربوي ، المملكة العربية السعودية ، ٢٠٠١م ، ص ١٠٥ .
- ٨- محمود عطا حسين عقل : " القيم السلوكية ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ١٤٢٢ ، ٢٠٠١م ، ص ٧٠ - ٧٢ .
- ٩- المرجع السابق : ص ٨٨ .
- ١٠- المرجع السابق : نقلاً من أحمد عبد الحليم : " القيم في نظم التعليم العربية ، مؤتمر القيم والتربية في عالم متغير ، ١٩٩٩م ، جامعة اليرموك ، الأردن ، ص ١٠ .

- ١١- فهمي محمد علوان : القيم الضرورية ومقاصد التشريع الإسلامي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٩م ، ص ٦١ .
- ١٢- محمد علي عزب : " الإبداع كقيمة تربية في القرآن الكريم " ، مؤتمر الإبداع في التعليم والثقافة ، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية ، الأهرام ، رابطة التربية الحديثة ١٩٩٦م .
- ١٣- الرازي ، محمد أبي بكر عبد القادر الرازي : " مختار الصحاح " ، دار إحياء الكتب العربية ، د . ت ، ص ٢٧٩ .
- ١٤- فهمي محمد علوان : مرجع سابق ، ص ٩١ .
- ١٥- جابر قميحة : " المدخل إلى القيم الإسلامية ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ١٩٨٤م ص ١ .
- ١٦- مقداد بالجن : " الاتجاه الأخلاقي في الإسلام ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٩٠م ، ص ٢١٣ .
- ١٧- توفيق الطويل : " الفلسفة الخلقية " ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٩٠م ، ص ١٢١ .
- ١٨- محمد عبد الله دراز : " دستور الأخلاق في القرآن " ، دكتوراه منشورة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٣م ، ص ٦٧٧ .
- ١٩- عبد المقصود ذكي البابلي : " بعض القيم المتضمنة في الصحافة الإسلامية " ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة الزقازيق ، ١٩٩٠م ، ص ٨٣ .
- فوزية دياب : " القيم والعادات الاجتماعية " ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٩٦م ، ص ١٨٤ .
- ٢٠- محمد كامل حنة : " القيم الدينية والمجتمع " ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٣م ، ص ٥ .
- ٢١- محمد عزيز الحبابي : " الشخصية الإسلامية " ، دار المعارف ، القاهرة ، ط خمسة ، ١٩٩٣م ، ص ١٤٤ .
- ٢٢- صحيح مسلم ، " شرح النووي " ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ج ١ ، ص ١٥٥ .

- ٢٣- المرجع السابق : ص ١٥٥ .
- ٢٤- تفسير القرطبي : " الجامع لأحكام القرآن " ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، د . ت ، ج ١ ، ص ٣٨٨ .
- ٢٥- المرجع السابق : ج ٣ ، ص ١٩٣٤ .
- ٢٦- المرجع السابق : ج ٤ ، ص ٢١٤٥ .
- ٢٧- المرجع نفسه : ج ٤ ، ص ٢١٤٩ .
- ٢٨- المرجع نفسه : ج ٤ ، ص ٢١٥٧ .
- ٢٩- المرجع نفسه : ج ٤ ، ص ٢١٥٧ .
- ٣٠- المرجع نفسه : ج ٤ ، ص ٢١٥٧ .
- ٣١- المرجع نفسه : ج ٥ ، ص ٢٨٧٤ .
- ٣٢- المرجع نفسه : ج ٥ ، ص ٣٤٥٥ .
- ٣٣- المرجع نفسه : ج ٦ ، ص ٣٧٠٦ .
- ٣٤- المرجع نفسه : ج ٦ ، ص ٣٧٠٧ .
- ٣٥- المرجع نفسه : ج ٦ ، ص ٣٧١٧ .
- ٣٦- المرجع نفسه : ج ٦ ، ص ٣٧١٨ .
- ٣٧- المرجع نفسه : ج ٦ ، ص ٣٨٤٤ .
- ٣٨- المرجع نفسه : ج ٨ ، ص ٥٣٢٥ .